في الدعوة والحركة

تذكير ونصيحة

للذين يريدون الجهاد في سبيل الله

الأخ أبو الشيماء

إنّ ممّا ابتلي به المسلمون والحركات الإسلاميّة في هذه الأيام ، الانفصال بين الفكر والعمل وبين العقيدة والسلوك، فضلاً عن عدم الفهم الصحيح لمنهج الإسلام وحقيقة هذا الدين .. فكثيراً ما يتردّد في لقاءات المسلمين وتسوّد به صفحات كتبهم ومجلاّتهم : يجب على المسلمين فعل كذا !! .. وينبغي على المسلمين التحرك من أجل تحقيق كذا !!

والمصيبة كبيرة والخطب عظيم إذا بقي الانفصال بين القول والعمل ، وبقي عدمُ تحوّل العقيدة إلى سلوك أو تصوّرَ الدعاة أنّ عامة المسلمين فقط هم المطالبون بالعمل والتطبيق

﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[1] .. نعم إنّ الذين آمنوا واطمأنوا لعدل الله عزَّ وجلَّ باعوا أنفسهم لله وأنفقوا أموالهم في سبيله ، وكان هذا هو مقياس فَهْمِ المؤمنين الصادقين لما أنزل رب العالمين وفهم العقيدة الصادقة ، وأما إذا لم تظهر آثار هذه العقيدة في حياة المؤمنين فلا يكون هناك فرق بين من صدَّق ومن كذَّب . وكم يكون الخطب جليلاً حينما ينظر عامة المسلمين في حياة من يَدْعُوهم للجهاد بالنفس والمال فلا يروهم يطبّقون ما يطالبون به .. ولو وقع ذلك منا –لا قدّر الله– لحقّ علينا ما قاله الله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾[2] .. ولقد حذّرنا ربّنا عزَّ وجلَّ –نحن المؤمنين– من الوقوع في مثل هذا الخطأ فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[3] فهل نحن عن هذا السلوك منتهون ، وإلى كتاب الله وسنّة رسوله وحياة القدوة ﷺ راجعون ؟ ..

﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** ... ﴾[4] .. ﴿ ... **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ** ... ﴾[5] .. إنّ المعركة مع أعداء الإسلام في هذه الأيام ضارية ومتعدّدة الجوانب ومتشعبة الأطراف ، فالمسلمون –كلّهم– مطالبون بالارتفاع فوق الدنيا والصغائر ليرتفعوا بأنفسهم إلى

مستوى هذه المعركة .. وكم يكون حجم المصيبة كبيراً إذا نظر أعداء الإسلام إلى المسلمين فوجدوا أنَّ ﴿ ... **كُـــلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ .. وهم لم يتقدّموا في تحقيق أهداف الإسلام إلاّ القليل القليـــل ، فهـــؤلاء ينتـــصرون لأنفسهم وسياستهم حتى ولو أدّى ذلك إلى تمزّق المسلمين وتفريق صفوف المقاتلين ، وذاك يدخل المعركة إذا تيسّرت له الظروف أو بحسب ما ترى جماعته المصلحة ، لا من منطلق شرعية الجهاد وتحقيقاً للقاعدة الشرعية (مـــا لا يـــتم الواجب إلاّ به فهو واجب) .. لقد حسم الله ﷻ القضية وأعطى الإجابة على ذلك فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَـــا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ... ﴾[٦]

﴿ ... **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ... ﴾[٧] سنّةٌ من سنن الله في الحياة .. ومع بساطة هـــذه السنّة وجلاء هذه الحقيقة إلاّ أنّه كثيراً ما تنسى أو لا تدرك ابتداءً فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جـــسيم في النظر إلى حقيقة الإسلام وواقعه في الحياة

إنّ الإسلام منهج متكامل للحياة في كلّ مكان وكلّ زمان ، فالذين يأخذون من الدين أجزاء ويتركونه في فتـــرة أخرى ، إن كانوا يفعلون ذلك عن جهل فهم مخطئون ، وإن كانوا يفعلون ذلك وهم يعلمون فهم خـــارجون عـــن الإسلام لوقوعهم في حبائل الشيطان ، فالله عزَّ وجلَّ حذّرنا -نحن المسلمين- من ذلك فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾[٨] كما أنّه سبحانه قال لرسوله ﷺ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾[٩] .. ولقد بيّن لنا تباركت أسماؤه عاقبة ذلك في معرض الحديث عن بني إسرائيل فقال : ﴿ ... **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[١٠] .. فكـــم يكـــون حجم المصيبة وكم يكون الخطب عظيماً إذا وقع مثل ذلك من بعض الدعاة إلى الإسلام ؟ ..

« **كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** »[١١] شاء الله تعالى أن يبلغ الإنسان من الدرجات بقدر مـــا يبذل من جهد وما يتقدّم من طاقة وما يصبر على الابتلاء في تحقيق منهج الله القويم وفي دفع الفساد عن نفسه وعـــن الحياة ، وشتّان بين من باع نفسه لله تعالى وترفّع عن حطام هذه الأرض ولم يكن أداةً للطواغيت وعنصراً من عناصر الفساد في الأرض فأعتقها من عذاب الله تعالى ، وبين من باع نفسه للهوى فاستمرأ حياة العبيد والذلّ والهوان وصار عبداً للشهوات والملذات فقد أورد نفسه المهالك وسلك طريق العذاب .. وليعلم من أراد الخير أن لطريق الإســـلام وتحقيق منهج الله في الأرض ثمناً ، والسنّة ماضية : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُـــونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[١٢]

فطريق الإسلام ليس سهلاً يتحقق في دنيا البشر بمجرّد تنـــزّله من عند الله ، أو بمجرّد انتماء الإنسان إليه بالاسم أو الهوية وإبلاغه للناس وبيانه فقط ، وإنّما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر تؤمن به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه قدر

طاقتها ، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك ، وتجاهد لهذا الهدف الجليل بكلّ ما تملك ، تجاهـــد الضعف البشري والهوى البشريّ في داخل النفوس ، وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى للوقوف في وجه الهدى ، وتبلُغ بعد ذلك كلّه من تحقيق الإسلام الحدّ الذي تطيق والذي يهيّئه للأفراد واقعهم الحياتيّ لا الخيالي ، إذ من الخطـــأ الانطلاق من الخيال وتجاهل الواقع الذي يعيشه الأفراد .. ثمّ تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة ، وتنهزم في المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة ، بقدر ما تبذل من الجهد وبقدر ما تتخذ من الوســـائل الحقيقية ، سيّد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ ، وارتفاع شهداء .. من بينهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فهـــل نحـــن منتصحون وإلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ راجعون وعلى الصغائر وحطام الدنيا الزائل مترفعّون وإلى رضـــوان الله وجنّة الخلد مستشرقون ؟؟ ..

---

(١) [التوبة : ١١١]

(٢) [البقرة : ٤٤]

(٣) [الصف : ٢]

(٤) [البقرة : ٢١٦]

(٥) [البقرة : ٢٥١]

(٦) [العنكبوت : ٦٩]

(٧) [الرعد : ١١]

(٨) [البقرة : ٢٠٨]

(٩) [الأنعام : ١٥٩]

(١٠)[البقرة : ٨٥]

(١١)جزء من حديث رواه مسلم في باب الطهارة (باب فضل الطهارة) ومعنى معتقها أي مخلّصها من العذاب ، ومعنى موبقهـــا : أي مهلكها بارتكابها المعاصي .

(١٢)[العنكبوت : ٢-٣]

(١٣) [آل عمران : ١٦٥]

(١٤)[آل عمران : ١٢٥]